الاسم: فطيمة الزهرة الاسم: العيد

اللقب: حفري اللقب: حنكة

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر – أ– الرتبة العلمية: أستاذ محاضر – أ–

hofri-fzohra@Univ.eloued.dz laid-henka@univ-eloued.dz

التخصص: نقد أدبي

القسم: اللغة والأدب العربي

الكلية: الآداب واللغات

جامعة "حمه لخضر" الوادي

عنوان الملتقى: النص التراثي في منظورات الحداثة وما بعدها الحدود –التصورات– الاشكالات.

محور الملتقى: نصوص تراثية في ميزان المناهج الحديثة.

عنوان المداخلة:

تمظهرات الحداثة في شعر ميسون بنت بحدل–مقاربة نقدية–

الملخص:

اعتمر النص التراثي عموما، وش ع"**ميسونبنت بحدل** " زوج الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان على وجه مخصوص بملامح الحداثة الشعرية؛ التي تنسجها تلك المظاهر الدلالية والتي ترجع في كينونتها إلى القراءات الحداثية للنص التراثي، حيث سارت جنبا إلى جنب والمناهج الحديثة ((السياقية)) والمناهج المعاصرة ((النسقية))، واهم من ذلك ما نادت به المدرسة الرومانسية حيث طرحت بدائل الإتباع إلى الإبداع، فمن عقل إلى تخييل وتغريب، ومن حديث ساكنة أرياف وقرى ومداشر إلى تجربة حضر ومدن، هي

مظاهر جديدة الشكل قديمة المحتوى قد ألفيناها عند سند المقاربة التي طبقته الشاعرة الفحلة "**ميسونبنت بحدل**" بدون منازع. وقد توزعت المداخلة على محاور مهمة ندرجها على نحو ما يلي:

1 -الناقد وقراءة النص التراثي بعين الحداثة.

2 -الشاعرة "ميسون بنت بحدل" والقصيدة العلم.

3 -المدينة من خلال صراع الآنا الشاعرة القروية والمكان المدينة ((الشام)).

4 -الشوق والحنين سمات ارتوت بها تيمات القصيدة.

إن تمثل هذه المظاهر الحداثية في القصيدة التراثية، ماهي إلا محاولة بسيطة لولوج الخطاب التراثي من منظور حداثي جديد.

Manifestations of Modernity in Maysoon Bint Bahdal's Poetry

- ACritical Approach -

Abstract:

The traditional text was worn in general, and "Maysoon bint Bahdal", the husband of the first Umayyad caliph, Muawiyah Ibn Abi Sufyan, was specially poetry with features of poetic modernity; Weave by those semantic aspects, which are due in their being to modernist readings of the traditional text, as they went side by side with modern ((contextual)) and contemporary ((systematic) curricula), and most importantly what the romantic school advocated as it proposed alternatives to follow-up to creativity. From reason to imagination and alienation, and from the conversation of the inhabitants of rural areas, villages and towns, to the experience of urban and cities, they are new aspects of old form and content that we have composed upon the basis of the approach applied by the poetess Maysoon Bahdal unchallenged. The intervention was divided into important axes, which we include as follows:

1- The critic and reading the traditional text with an eye of modernity.

2- The poet, "Maysoon Bint Bahdal," and the poem, Science.

3- The city through the struggle of the village poetess Anna and the place Al Madinah ((Al-Sham)).

4- Longing and nostalgia are features of the poem's themes.

If these aspects of modernity are represented in the traditional poem, it is only a simple attempt to enter the heritage discourse from a new modernist perspective.

تمظهرات الحداثة في شعر ميسون بنت بحدل

-مقاربة نقدية:

لطالما كان الشعر ديوان العرب، ولطالما كانت القصيدة الجنس الشعري الأكثر شيوعا، فهي التي تعكس عبقرية العربي، وتؤصل لعروبته لذلك استفحلت قريحة الشعراء ونبغ في تثمينه وتقييمه العقل النقدي وفقا لمعطى تعدد القراءات؛ أما عن هذه الأخيرة فقد باتت الشغل الشاعل للعديد من الباحثين اليوم. وخاصة تلك التي تتعلق بقراءة النص التراثي وما يتضمنه من مقولات.

1*قراءة النص التراثي بعين الحداثة:

لقد أخذت القراءة الحداثية والمعاصرة للتراث في العقود الأخيرة تنفتح على عوالم جديدة، وتنتفع بنظريات ومناهج علمية حديثة تقارب النص على اختلاف أشكاله ودوافع كتاباته، هادفين بذلك لقراءة نص عربي تراثي بعين حديثة ((فليست القراءة عند الباحثين المعاصرين ذلك الفعل البسيط الذي نمرر به البصر على السطور، وليست هي أيضا بالقراءة التقبلية التي نكتفي فيها عادة بتلقي الخطاب تلقيا سلبيا اعتقادا منا أن معنى النص قد صيغ نهائيا))[1].فالقراءة في أولى مفاهيمها النقدية إعادة بناء كل مقروء سواء كان النص تراثيا أو حديثا أو معاصرا. فعلى الناقد أن يتحرى القراءة الكاشفة التنقيبية، لذلك يرى الشهير

"**جاد يمير Gadamer**" بأن ((القراءة تجربة وجودية مع النص المقروء، فمن خلالها لا تتجلى الحقيقة كمضمون في ذاته ولذاته، بل ككشف وانفتاح جديد على العالم)) [2].يبرز غياهب النص ويتخطى تخوم المجاهيل فيه متجاوزا بذلك القراءات الهشة إلى قراءات حفرية تبعث المعنى الدفين من جديد.

تبدأ قراءة النص التراثي عادة ((من طرح أسئلة تبحث لها عن إجابات، وسواء كانت هذه الأسئلة التي تتضمنها عملية القراءة صريحة أو مضمرة)) [3]. حاملا معك معاول نقدية حداثية ومعاصرة تتوافق وما في النص من تمظهرات تعكس هذه الآليات والملامح؛ فلنص الشعري خاصية جوهرية وهي قابليته على الدوام لأن يقرأ من زوايا جديدة ومتعددة.

إنّ قضية التراث العربي وما يتعلق به من قراءات حديثة ((من القضايا الفكرية التي شغلت بال المفكرين فتباينت المواقف منه ومن مفاهيمه، وكذا طريقة التعامل معه، وهذا ما يؤدي إلى أن قراءة التراث التي تشوبها إشكالات متعددة، وتحيطها أسئلة متنوعة تتغير أجوبتها من عصر إلى عصر ومن قارئ إلى قارئ آخر، وحسب التصورات النظرية والمرجعيات الفلسفية، وكذا المناهج الموظفة، وهكذا فإن قراءة التراث تفضي إلى قراءات جديدة، إما مؤكدة على السابق، وإما مضيفة إليه، وإما مكتشفه لضلالته)[4].

ومن هنا تأتي هذه المداخلة الموسومة ب"تمظهرات الحداثة في شعر ميسون بنت بجدل" مقاربة نقدية، لتقف عند حدود الحداثة بأوجهها الشكلية والضمنية في نص تراثي علم.

دأب الشاعر من أجل البقاء مبتهجا في جميع أطوار حياته التي مر بها بقاءً يخلد ذكرى، ويضع حدث، وفي مرحلة ما استطاع أن يحقق ذلك الوعي المشخص الذي تتوافر فيه الطمأنينة، بل راح يلاحق كل ما من شأنه أن يجعله يمارس السعادة بمعاييرها في هذه الحياة، هي رحلة استعد لها الشعراء بداية؛ كونهم الأكثر إحساسا وشاعرية من الآخرين، فكانت اليوم أهم قراراتهم الخروج من الديار وفقا لمعطى الحداثة الشعرية، وقد رافقهم في هذه الغربة الشوق والحنين للأوطان.

هي ملامح حداثية بامتياز ألفيناها فيما جادت به الشاعرة الفحلة "ميسون بنت بجدل".

2-التعريف بالشاعرة: (ماتت عام 80هـ/700م).

ميسون بنت بجدل (بن أنيق بن دلجة بن قناقة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جذاب بن هبل الكلبية أم يزيد بن معاوية زوجة معاوية بن أبي سفيان) [5]. شاعرة فحلة (كانت تسكن البادية، وهي شاعرة عربية كانت تشتهر بالفصاحة، تزوجت معاوية بن أبي سفيان ونقلها من البادية إلى دمشق، وأسكنها قشرا مشيدا من قصور الخلافة)[6].

اشتهرت زوج الخليفة الأموي الأول ووالدة الخليفة الأموي الثاني بجمال نادر، وقد تحدث ابن كثير عنها في باب ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له ((زوجات وابناء معاوية بن أبي سفيان حين وصفها ب ((أنها لكاملة الجمال، كانت حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا))[7].

تزوجها الخليفة لظروف سياسية. حتى يجند المسيحين لمواجهة الروم. كان لها الدور الكبير في الحياة السياسية في الخلافة الأموية الراشدة، فهي من أقدم الشاعرات العربيات ذوات السمعة الطيبة.

كانت من قبيلة بدو بنو كلب، تزوجت من معاوية في عام 645 م، بدوافع سياسية فهي ابنة زعيم بني كلب، كما انجبت طفلها الوحيد عام 646م أخذته معها إلى البادية في جنوب تدمر، حيث قضى طفولته، كانت باهرة الحسن، تتزين بأبهى الثياب، وتضع أجمل الحلي.

3*أصالة الشاعرة وصراع المدينة:

لقد عانى الشاعر في تجربته مخاضا عسيرا حتى يتشكل له النص مثلما وصلنا اليوم، فمن الشعراء من راح يصور الواقع الذي أرهق كاهله بمسحة من اليأس والتشاؤم، ومنهم من هاجر الواقع الأليم وراح يجوب أمصارا غريبة لعله يجد العزاء والسلوى، فالنزوح من القرى

والأرياف شرعيته مستمدة من معطى الأفضلية. ((ليس عيبا أن ينجذب المرء أمام زخارف الحداثة فتغريه زينتها وبريقها، بل قد ينخدع لزيفها ويغره غرورها، لكن الأصيل من يرده طبعه وخلقه إلى أصله فيأخذ الجيد الحسن، ويرمي بالسيء الرديء، بعيدا عنه وعن مجتمعه، وينفر منه فارا وعائدا إلى أصالته وتراثه)) [8]، وهو ما قامت به الشاعرة "**ميسون**" بعد اقرارها العودة إلى الديار ((البادية)).

ولنعم الحنين حنين "**ميسونبنت بحدل**" البدوية الأصيلة، غير متنكرة لأصل بدوي ولا قاطعة لحبل صلة، لم تستلذ أطايب نعيم الدنيا في قصير مشيد يعكس ثراء الخليفة الأول الأموي" معاوية بن أبي سفيان؛ يروى أن ذات مرة كانت الشاعرة تطل على فضاء خلاق ترسمه خيوط الطبيعة، لتسمع زقزقة العصافير، إطلالة فتحت الباب واسعا أمام الشاعرة البدوية. لتسترجع أيام البداوة، وبكر الطبيعة، شدها الشوق والحنين إلى أصلها، وقساوة العيش هناك.

فأصالة "ميسون" راسخة في أدب بدوي شعري بامتياز، تستذكر البداوة في أهم تفاصيلها بألوانها التي لا تتناقش.

فالشوق والحنين إلى الأوطان اكتسى مسحة حداثية بمجيء المدرسة الرومانسية التي ركزت على أصوات التغريب، ولنقل إحساس المهجرين أو المهاجرين، وما كتب من شوق وحنين وتعلق بالأوطان وتألم لما يصيبها يقول نسيب عريضة في قصيدته الشهيرة "حكاية مهاجر سوري":

غريبا من بلاد الشرق جئت ... بعيدا عن حمى الأحباب عشت
اتخذت أمريكا وطنا عزيزا ... فكانت لي كأحسن ما اتخذت
أتاها للغنى غيري وإني ... كما جاءوا من الأقدام جئت
ولكنني أطلب بها حياة ... مع الحرية المثلى فنلت [9].

نستشعر "**الغربة**" بمفهومها الحديث في هذه الأبيات الشعرية، ومن المسلمات بمكان أن موضوع الشوق والحنين للأوطان قد ذكر في أمهات الكتب العربية، التي أصلت لمثل هذه التمظهرات الشعرية في كتابة النصوص الإبداعية. وندلل بذلك على ما ذكره "**الجاحظ**" في كتابه "الحنين إلى الأوطان" الذي خصصه لمثل هذه الملامح النصية الحديثة. حين ذكر قوله ((من الشعراء من ذاقوا مرارة النأي عن الوطن، فعصفت بهم رياح الحنين والشوق... توقد النار في أكبادها.... فمن اغترب من بلد إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه... فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها ((والأعطان مبارك الإبل عند الماء واحدها عطن)) وردد قول الشاعر[10]:

إذا ما ذكرت الثّغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي لهبة للهماهم
حنينا إلى أرض بها أخضرّ شاربي وحلّت بها عني عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم

إنّ الانسان جبل في طبعه على فطرة التعلق بمكان المولد والنشأة، فكيف الحال إذا كان شاعرا يقول الجاحظ ((قالت العجم من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة، وأولى البلدان بصبابتك إليه بلد رضعت ماءه، وطعمت غذاءه))[11].

وبالعودة إلى سند المقاربة النقدية "**القصيدة العلم لميسون**" التي كانت وراء طلاقها من الخليفة الأموي الأول، لما احتوت هذه القصيدة من اعترافات بعدم القبول برغد العيش، هنا نكشف تلك الملامح الحديثة في النص التراثي وأهمها صراع الأنا الشاعرة مع المدينة، التي انتقلت إليها من البادية إلى مدينة الشام. رفض تقرر عندما أطلت الشاعرة الكلبية من القصر على فضاء رحب مفتوح فأنشدت:

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

وأكل كسيرة في كسر بيتي أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج أحب إلي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني أحب إلي من قط أليف
وبكر يتبع الأظعان سقيا أحب إلي من بعل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف أحب إلي من علج عليف
خشونة عيشتي في البدو أشهى إلى نفسي من العيش الطرف
فما أبغي سوى وطني بديلا وما أبهاه من وطن شريف [12].

4*اعترافات شعرية بالشوق والحنين للبادية:

تعدّ هذه القصيدة الشعرية من أشهر القصائد النسائية في التعبير عن صراع الأنا البدوية مع معطيات المدينة، وأكثرها تعبيرا عن الشوق والحنين للديار.

تأثرت " **ميسون**" بما يحيط بالقصر من غوطة وطبيعة ونسائم، فحنّت إلى أترابها فبكت أمام ما يضاهي ملك بلقيس، وأنشدت قصيدتها التي طلقتها من الخليفة؛ كما بلغت الأبيات مسامع "معاوية" تعجب! وقال: ما رضيت بنت بجدل حتى جعلتني علجا عليفا!! أنت في ملك عظيم لا تدرين قدره، فأنت طالق ثلاثا، ثم سيّرها إلى أهلها في نجد.

ومن خلال تحليلنا للنص التراثي الذي بين أيدينا وقفنا على مظاهر جمة تعكس حداثة شعرية مائزة؛ وفي مقدمتها تلك المظاهر التي تتعلق بالشوق والحنين للوطن والتي ألفيناها اليوم في كثير من النصوص الحداثية والمعاصرة ((يقول بقراط: يداوي كلّ عليل بعقاقير أرضه وقد أكد هذه الفكرة الأصيلة أفلاطون في قوله: غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها، في حين نجد جالينوس يكرر مقولته الشهيرة: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل القطر))[13].

5*ميزان المفاضلة:

هي مفاضلة وازنت من خلالها الشاعرة "**ميسون**" بين الأنا خارج البداوة وبين أنا تتنسم رحيق الأصل، كونها ساكنة بدو. فذكرت ملامح التمدن بوجه رافض، لتقرّ عينها على

مظاهر الفطرة. ولقد قدمت وجوبا العيش في **البادية** على العيش في **المدينة** وتحديدا في ذلك القصر المنيف الذي صمم خصيصا من أجل راحتها.

جعلت "**ميسون** " بيت البادية يشع حياة، ويرسم بهجة على عكس ما تسكنه من قصر مشيد. وجعلت قرّة عينها في لبس عباءة رثة خشنة، بدل الثياب المطرزة بالديباج. كما انتقلت من اللباس إلى المأكل فصغرت الكسرة ب"كسيرة" وجعلتها غير الرغيف الرغد، كما راحت تحاكي كل ملامح المدينة التي تستنكر وجودها في غياب البادية، حتى بلغت مبلغ الرفض المطلق للخليفة الأموي ألا وهو زوجها في قولها:

وخرق من بني عمي نحيف أحب إلي من علج عليف

لتصرح في آخر بيت من القصيدة بقرارها النهائي ،وذلك بضرورة العودة إلى الديار لأنها لا تبغي سوى باديتها بديلا عما تعيشه من حياة مدنية، عانت مظاهرها يوميا، فكان لقرارها القبول والعودة للبادية.

لقد أثبت خطاب الشارع الحكيم هذه الميزة في البشر وهي حب الأوطان في قوله حين ذكر الديار مخبرا عن مواقعها في قلوب عبادة فقال: ((ولو أنا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلى قليل منهم))[14].

لقد ساوى الله سبحانه وتعالى بين قتل أنفسهم وبين خروجهم من الديار، فقد عمّر الله البلدان والأمصار بحب الأوطان، وهنا نستذكر تلك المرأة التي زوجت بعيدا عن أهلها، نظرت ذات يوم إلى ناقة فحنت وتذكرت موطنها فقالت:

ألا أيها البكر الأباني إنني وإياك في كلب لمغتربان
تحن وأبكي ذا الهوى لصبابة وإنّا على البلوى لمصطحبان
وإنّ زمانًا أيها البكر ضمّني وإياك في كلب لشرّ زمان [15]

ما تركت لوصف لاذع مكان، قمة الشوق والحنين، فجندت مشاعرها لتصف عمق الغربة، وحرقة الاشتياق للأهل والديار، للأرض وللسند، الخ.

فحب الأوطان، والتعلق بها فطرة أوجدها الله في عباده وخير دليل على ذلك أن النبي محمد ﷺ، أنه إذا رجع من سفر فأبصر المدينة حرك إليها دابته من حبها.

تعلق أبدي رسمت ملامحه قصيدة "**ميسون**" الرائدة، بكل تجليات الحداثة من صراع مع الآخر ألا وهو المكان **المدينة**، وما اعتمرت به القصيدة من **شوق وحنين** للديار. أما عن هذه التمظهرات فقد كانت الوجه المائز لصراع أبدي يقوم حديثا على ثنائية القرية ((البادية)) والمدينة، لتتحول فيما بعد إلى ندوب عميقة خلدت النص التراثي[16].

يرى الناقد العربي مختار علي أبو غالي بـ:((أن التراث الانساني قد لمس من قريب أو بعيد معنى المدنية والحضارة، بما يرمزان إليه من تغييرات ترغم النازح على التخلي عن شكله القديم وأن يلبس للبيئة الجديدة لبوسها)). وهو ما رفضته الشاعرة "**ميسون**" رفضا لا رجعة فيه، قرار كلفها حياتها الزوجية.

قصيدة نقلت إلينا ثقل الغربة، ورسمت صورة الوجد والشوق بامتياز، صراع نابع من حياتين مختلفتين تماما، حياة **بدوية** عبرت عنها في الأسطر الأولى من الأبيات، وحياة أخرى أكثر عمقا وتركيبا في **المدينة الشامية** عبرت عنها في أعجاز الأبيات. ((ووضع المعاني في هذا التشكيل ضرب من الوعي بحركة النفس في صراعها بين ما درجت عليه من جهة وما آلت إليه من جهة أخرى، وهي في هذا أقرب إلى روح الرومانسي في موقف الشاعر المعاصر من المدينة))[17].

وختام ما نخلص إليه، أنّ تمظهرات الحداثة والمعاصرة من **شوق وحنين** ومن **صراع بين مدينة وقرى** ، أفكار شديدة المعاصرة ترتبط بالقرن العشرين ومنجزاته، حيث ينطلق الشعر المعاصر من مفهوم حضاري للكون، فهجاء المدينة عالميا نابع من ثورة صناعية انتزعت انسانية الانسان وجعلته يقف موقفا معاديا من المدينة ورموزها حتى بلغ اليوم ذروته لدى" توماس إليوت .Thomas"Iفي قصيدتيه اللتين ذاع صيتهما "الأرض الخراب" و"الرجال الجوف".

تمظهرات حداثية ارتشفها رحيق النص التراثي عموما، وقصيدة الشاعرة "**ميسون**" خصوصا، هكذا وقفنا عند تراثية النص بعين حديثة، ومعول نقدي معاصر.

---

[1] محمد مبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص28.

[2] حميد حميداني: القراءة وتوليد الدلالة ((تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي))، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2003، ص295.

[3] نصر حامد أبو زيد: اشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2005، ص06.

[4] عبد الرحمن إكيدر: رؤية العالم في قراءة التراث البلاغي عند جابر عصفور، مجلة قراءات، 2016، ع09، ص77.

[5] ابن عساكر: تاريخ دمشق (ترجمة ميسون بنت بجدل)، ج70، ص133.

[6] الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، ص525.

[7] ابن كثير: البداية والنهاية، زوجات وأبناء معاوية بن أبي سفيان، ج8.

[8] الطيبي بن عبد الرحمان: الأصالة والحداثة من أبيات ميسون الكلبية، مقال منشور الكترونيا، 19-02-2017 شبكة الألوكة.

[9] نسيب عريضة: الأرواح الحائرة، ص267.

[10] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، سلسلة اللغة والأدب، دار رائد بيروت، لبنان، ط2، 1982م، ص06.

[11] نفس المصدر، ص08-09.

[12] ميسون بنت بحدل: قصائد شامية، خزانة الأدب/الموسوعة الشاملة))، عبد القادر البغدادي، ص258. الشاهد الثامن والخمسون بعد الستمائة. من شواهد الوافر.

[13] الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص10.

[14] سورة النساء: الآية 66.

[15] الجاحظ: الحنين إلى الأوطان. ص27.

[16] مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، أبريل، 1995، ص06.

[17] نفس المرجع، ص07.